مجلة جامعة فلسطين التقنية للأبحاث 2026، 14(02)، 97-115

الهيمنة الشفافة في التجربة الاعتقالية الفلسطينية
"إدارة الوجود الإنساني عبر الانكشاف وتنظيم الحواس"
Domination through Transparency in the Palestinian Carceral Experience
"Managing Human Existence through Exposure and the Regulation of the Senses"

بشرى هشام ولدعلي [1*]
Bushra Hisham WeldAli[1*]
[1]كلية الدرسات العليا ،جامعة القدس، القدس، فلسطين.
[1]Faculty of Graduate Studies, Al-Quds University, Al-Quds, Palestine.

تاريخ الإستلام:2026/01/26 تاريخ القبول: 2026/04/05 تاريخ النشر: 2026/08/30

المستخلص:يتناول هذا البحث التجربة الاعتقالية الفلسطينية بوصفها منظومة هيمنة استعمارية معاصرة لا تقوم على العنف الجسدي المباشر فحسب، بل على إدارة دقيقة وممنهجة للوجود الإنساني عبر الانكشاف الدائم، وتنظيم الحواس، وضبط الإيقاع الزمني. وينطلق البحث من مفهوم "الهيمنة الشفافة" كما طوّره بيونغ-تشول هان، ليحلّل السجون الإسرائيلية باعتبارها فضاءات تُمارَس فيها السلطة من خلال الإضاءة المستمرة، والمراقبة الدائمة، وتنظيم الزمن اليومي، والتحكم بالصوت والصمت، بما يعيد تشكيل وعي الأسير الفلسطيني وكينونته على المدى الطويل، وتعتمد الدراسة منهجًا نوعيًا تفسيريًا–نقديًا، يقوم على تفكيك الممارسات اليومية داخل السجن - مثل طقوس العدّ، والفورة، والاستحمام، والكانتين، والزيارات، والتحقيق - بوصفها تقنيات سلطة تعمل عبر الإدراك والحواس، لا بوصفها إجراءات تنظيمية فقط. ويُظهر التحليل أن هذه الممارسات تُنتج حالة حضور قسري دائم، تُلغى فيها الخصوصية، ويُفكَّك الزمن الذاتي، ويُدار المجال الحسي بطريقة تُفضي إلى إنهاك إدراكي ونفسي متراكم. كما يبيّن البحث أن الهيمنة داخل السجون الإسرائيلية ليست ثابتة، بل مرنة وقابلة لإعادة الضبط تبعًا للسياق السياسي والأمني، ما يجعل السيطرة أكثر تغلغلًا وأقل قابلية للرصد المباشر. وفي مقابل ذلك، يرصد البحث أشكالًا دقيقة من المقاومة الأسيرة، تتجلى في استعادة مساحات الصمت والحفاظ على مناطق ظلّ تحمي الكينونة من الانكشاف الكامل، ويخلص البحث إلى أن التجربة الاعتقالية الفلسطينية تمثّل نموذجًا متقدّمًا للهيمنة الشفافة في السياق الاستعماري المعاصر، وتكشف عن منطق عالمي لإدارة البشر عبر الضوء والمراقبة وتنظيم الإدراك، بما يجعل السجن مختبرًا مركزيًا لفهم أشكال السيطرة الحديثة، وحدود المقاومة الإنسانية داخلها.

الكلمات المفتاحية: الهيمنة الشفافة، الانكشاف القسري، تنظيم الزمن، تنظيم الحواس، إدارة الوجود الإنساني.

Abstract : This study examines the Palestinian carceral experience as a contemporary system of colonial domination that is based not only on direct physical violence, but also on the precise and systematic management of human existence through constant exposure, the regulation of the senses, and the control of temporal rhythm. The study draws on the concept of "transparent domination," as developed by Byung-Chul Han, to analyze Israeli prisons as spaces in which power is exercised through continuous lighting, constant surveillance, the organization of daily time, and the control of sound and silence, in ways that reshape the Palestinian prisoner's consciousness and being over the long term. The study adopts a qualitative interpretive-critical methodology based on deconstructing everyday practices inside the prison such as roll-call rituals, yard time, bathing, access to the canteen, visits, and interrogation as

*البريد الإلكتروني للباحث الرئيسي: Bushra.hisham@yahoo.com

techniques of power that operate through perception and the senses, rather than merely as administrative procedures. The analysis shows that these practices produce a state of permanent forced presence in which privacy is abolished, subjective time is dismantled, and the sensory field is managed in a way that leads to cumulative perceptual and psychological exhaustion. The study also demonstrates that domination within Israeli prisons is not fixed, but rather flexible and capable of being readjusted according to the political and security context, making control more deeply penetrating and less susceptible to direct observation. In contrast, the study identifies subtle forms of prisoner resistance, manifested in reclaiming spaces of silence and preserving zones of shadow that protect human being from complete exposure. The study concludes that the Palestinian carceral experience represents an advanced model of transparent domination within the contemporary colonial context and reveals a global logic of managing human beings through light, surveillance, and the regulation of perception. This makes the prison a central laboratory for understanding modern forms of control and the limits of human resistance within them.

Keywords: Transparent domination, forced exposure, temporal regulation, sensory regulation, management of human existence.

1 المقدمة

لم يعد السجن في السياقات الاستعمارية المعاصرة يُفهم بوصفه فضاءً مغلقًا يُمارَس فيه العقاب عبر العنف الجسدي المباشر فحسب، بل بات يُقرأ بوصفه منظومة مركّبة لإدارة الوجود الإنساني عبر تقنيات دقيقة تشمل المراقبة المستمرة، والانكشاف الدائم، وتنظيم الزمن، وضبط الحواس. وتكشف التقارير الحقوقية المتخصصة حول مرافق التحقيق والسجون، من خلال توصيف الإضاءة المستمرة، وطقوس العدّ، وأنماط الانتظار، والعزل، وتنظيم المجال السمعي، أن أدوات السيطرة لا تختزل في الإيذاء الجسدي، بل تمتد إلى إعادة تنظيم الإيقاع اليومي للحياة داخل الفضاء الاعتقالي، بما يؤثر في الإدراك والوعي على المدى الطويل.

في هذا السياق، تمثّل التجربة الاعتقالية الفلسطينية حالة دالّة لفهم تحوّلات السلطة العقابية في السياق الاستعماري، حيث يُحتجز آلاف الفلسطينيين سنويًا داخل منظومة سجون تعتمد أنماطًا ثابتة من الإضاءة الدائمة، والمراقبة بالكاميرات، والعدّ المتكرر، وتنظيم الحركة والنوم والزيارة. ولا تُفهم هذه الممارسات بوصفها إجراءات إدارية محايدة، بل بوصفها ترتيبات يومية تُعيد تشكيل علاقة الأسير بالزمن، وبالحيّز، وبذاته، وتنتج حالة حضور قسري دائم داخل بنية ضبط شاملة.

تناولت أدبياتٌ عربية وفلسطينية متعددة التجربةَ الاعتقالية من زوايا قانونية وحقوقية وسياسية وسردية؛ مثل قراءة التجربة بوصفها ظاهرة سردية تُنتج أدبًا وذاكرة مقاومة (العصا، 2022)وقراءتها بوصفها أداة استعمارية لإخضاع المجتمع عبر التحقيق والتعذيب (قاسم، 1986)، فضلًا عن تقارير حقوقية توثيقية ركّزت على أنماط التحقيق وسوء المعاملة والعزل (بتسيلم، 2010؛ مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، 2023).غير أنّ هذه المقاربات على اختلاف قيمتها، تميل غالبًا إلى أحد مسارين: إمّا توصيف الانتهاك ضمن لغة القانون والحقوق، أو تمثيل التجربة داخل النصوص السردية/السياسية، دون بناء قراءة تحليلية مركّزة للحياة اليومية داخل السجن بوصفها بنية تشغيلية للهيمنة تعمل عبر الانكشاف المستمر وتنظيم الزمن والحواس. من هنا تتحدد فجوة هذه الدراسة في الانتقال من "وصف القسوة" إلى تفكيك آلياتها اليومية بوصفها تقنيات سلطة تُدار عبر الضوء والإيقاع والسمع والانتظار. كما يلاحظ محدودية توظيف الأطر النظرية النقدية المعاصرة في قراءة كيفية اشتغال الانكشاف، وتنظيم الزمن، وضبط الحواس كآليات لإعادة تشكيل وعي الأسير الفلسطيني وكينونته.

انطلاقًا من هذه الفجوة، تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة التجربة الاعتقالية الفلسطينية بوصفها نموذجًا لـ«هيمنة شفافة» تُمارَس عبر تفاصيل تبدو تنظيمية، لكنها تؤدي وظيفة إدراكية ونفسية متراكمة. وعليه تتمثل مشكلة الدراسة في غياب معالجة تحليلية تفسّر كيف تُوظَّف الممارسات اليومية داخل السجون الإسرائيلية بوصفها أدوات هيمنة شفافة، تعمل من خلال الانكشاف القسري، وتنظيم الزمن، وضبط الحواس، بما يؤدي إلى إعادة تشكيل وعي الأسير الفلسطيني وكينونته، بدل الاقتصار على قراءة هذه الممارسات بوصفها انتهاكات قانونية أو إجراءات إدارية أو أحداثًا معزولة.

تعتمد الدراسة مقاربة نوعية ذات طابع تفسيري نقدي، تقوم على تحليل المضمون الموضوعاتي للنصوص الثانوية المنشورة، وبخاصة التقارير الحقوقية والشهادات العلنية للأسرى المحررين خلال الفترة المحددة. وتُعامَل هذه النصوص بوصفها تمثيلات خطابية تكشف عن بنية الممارسات الاعتقالية، لا بوصفها معطيات ميدانية مباشرة. وقد اعتُمد "وصف الممارسة اليومية" كوحدة للتحليل، وتم ترميز هذه الممارسات ضمن محاور مستمدة من الإطار النظري: البعد البصري، والبعد الزمني، والبعد السمعي، وإدارة الحياة اليومية، بهدف الكشف عن أنماط اشتغال الهيمنة عبر تنظيم الإدراك والحواس والزمن، دون السعي إلى تعميم إحصائي. ولأغراض التحليل، استندت الدراسة إلى أربعة تقارير حقوقية رئيسة شكّلت مادة التحليل، وهي: تقرير مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان "نور في آخر النفق: واقع العزل الانفرادي وآثاره على الأسرى في سجون الاحتلال" (2023)، وتقرير المؤسسة الدولية للتضامن مع الأسرى الفلسطينيين "واقع الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية خلال عام 2025" (2025)، وتقرير B'Tselem "Utterly Forbidden: Torture and Ill-Treatment of Palestinian Detainees by Israeli Security Forces" (2007)، وتقرير بتسيلم "وسائل ظلامية: التعامل مع المعتقلين الفلسطينيين في منشأة التحقيق التابعة لجهاز الأمن العام" (2010). وقد اختيرت هذه التقارير لما تتضمنه من إفادات موثقة ووصف مباشر للممارسات اليومية داخل التحقيق والسجن والعزل، على أن يُفصَّل موقع كلٍّ منها منهجيًا في قسم عينة الدراسة والجدول رقم (1).

وتتوزع الورقة على النحو الآتي: يعرض القسم التالي الإطار النظري المؤسس لمفهوم الهيمنة الشفافة، تليه المنهجية المعتمدة، ثم تحليل تطبيقي لأبعاد الهيمنة البصرية والزمنية والسمعية، وصولًا إلى مناقشة النتائج.

2 تساؤلات الدراسة

سعت الدراسة للإجابة على التساؤلات الآتية:

السؤال المركزي:

كيف تُوظّف الممارسات اليومية داخل السجون الإسرائيلية، كما تكشفها التقارير الحقوقية، بوصفها منظومة هيمنة شفافة تُمارَس عبر الانكشاف، وتنظيم الحواس، وإدارة الإيقاع الزمني، بما يعيد تشكيل وعي الأسير الفلسطيني وكينونته؟

الأسئلة الفرعية

2.1 كيف تعمل ممارسات السجن اليومية، مثل الإضاءة المستمرة، والمراقبة الدائمة، والعدّ المتكرر، على إنتاج حالة انكشاف قسري تُحوّل الجسد الأسير إلى موضوع دائم للرؤية والضبط؟

2.2 إلى أي مدى يُستخدم تنظيم الزمن والإيقاع اليومي داخل السجن من خلال التحكم بالنوم، والحركة، والانتظار، كأداة للسيطرة الإدراكية والنفسية على الأسير؟

3.2 كيف يُسهم التحكم بالحواس، ولا سيما الصوت والصمت، في إعادة إنتاج الهيمنة داخل الفضاء الاعتقالي، وما أشكال المقاومة التي تتشكّل داخل هذه البنية الحسية القسرية؟

3 مصطلحات الدراسة

الهيمنة الشفافة: يشير مفهوم الهيمنة الشفافة إلى نمط من أنماط السلطة المعاصرة يقوم على الإخضاع غير المباشر، من خلال الانكشاف الدائم، والمراقبة المستمرة، وإلغاء المسافة بين الخاص والعام، بما يؤدي إلى إعادة تشكيل وعي الفرد وسلوكه دون اللجوء إلى العنف الجسدي الصريح. ويُستخدم المصطلح بالاستناد إلى أطروحات بيونغ-تشول هان التي ترى أن الشفافية لا تمثل انفتاحًا تحرريًا، بل آلية هيمنة ناعمة تُنتج الطاعة عبر القبول والامتثال الداخلي. (Han, 2015)

الإنكشاف القسري: يُقصد بالانكشاف القسري حالة يُجبر فيها الفرد على الوجود الدائم داخل مجال الرؤية والمراقبة، بما يُلغي الخصوصية ويحوّل الجسد إلى موضوع قابل للضبط والقراءة المستمرة. وفي سياق هذه الدراسة، يُستخدم المصطلح لوصف الأوضاع الاعتقالية التي تُدار عبر الإضاءة المستمرة، والكاميرات، وطقوس العدّ، بما يجعل الحضور القسري شرطاً وجودياً لا حالة مؤقتة. (Han, 2015) (فوكو، 1990)

تنظيم الزمن: هو توظيف الوقت والإيقاع اليومي بوصفهما أدوات سلطة، من خلال تقطيع الزمن، وإرباك استمراريته، والتحكم بالنوم والانتظار والحركة، بما يؤدي إلى إنهاك إدراكي ونفسي طويل الأمد. ويُستخدم المفهوم في هذه الدراسة لفهم الكيفية التي تتحول بها إدارة الوقت داخل السجون إلى آلية ضبط لا تقل فاعلية عن القيود المادية. (Virilio,1986)

4 الدراسات السابقة

شهدت التجربة الاعتقالية الفلسطينية حضورًا ملحوظًا في الأدبيات العربية، حيث تنوعت المقاربات بين التحليل الأدبي والسردي، والقراءة السياسية، والتوثيق الحقوقي. وتُعد دراسة عزيز العصا الموسومة بعنوان "أدب الأسرى الفلسطينيين: وثائق تبين شراسة السجان وتحفظ للوطن تاريخه" من أبرز الأعمال التي قاربت التجربة الاعتقالية بوصفها ظاهرة ثقافية سردية تتجاوز بعدها التوثيقي إلى بعد رمزي وطني (العصا، 2022). تنطلق الدراسة من فرضية أن نصوص الأسرى ليست مجرد إنتاج أدبي في ظروف استثنائية، بل وثائق مقاومة تحفظ الذاكرة الوطنية من المحو، وتعيد صياغة العلاقة بين الذات المعتقلة والوطن بوصفه أفقًا معنويًا جامعًا. اعتمدت العصا منهجًا تحليليًا نصيًا ركّز على قراءة الأعمال الشعرية والسردية الصادرة عن الأسرى، واستخراج الثيمات المتكررة مثل صورة السجّان، وتمثيل الجسد المعذّب، وإعادة إنتاج الزمن الوطني داخل فضاء العزل، وتحويل الكتابة إلى فعل مقاومة. وقد خلصت الدراسة إلى أن النص الاعتقالي لا يكتفي بتوثيق القمع، بل يسهم في إعادة بناء هوية جماعية قادرة على مقاومة التفكيك النفسي الذي يسعى إليه النظام الاعتقالي. غير أن هذه المقاربة، على أهميتها، تظل محصورة في تحليل تمثيل التجربة داخل النصوص، دون الانتقال إلى تفكيك البنية المؤسسية اليومية التي تُنتج هذه التجربة على مستوى الواقع المادي للسجن.

وفي سياق مختلف، يمثل كتاب عبد الستار قاسم "التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية" معالجة سياسية تحليلية للتجربة الاعتقالية، حيث يتعامل مع السجن بوصفه أداة استعمارية لإخضاع المجتمع الفلسطيني (قاسم، 1986). يستند قاسم إلى توصيف وقائع الاعتقال وأساليب التحقيق وأشكال التعذيب، ويضعها ضمن إطار تحليلي يربط الممارسة الاعتقالية بالمشروع الاستعماري الأشمل. وتشكل الشهادات والوقائع الموثقة مادة الكتاب الأساسية، ما يمنحه طابعًا توصيفيًا–نقديًا يهدف إلى كشف الطابع المنهجي للقمع. وتبرز قيمة هذا العمل في تثبيت البعد البنيوي والسياسي للاعتقال، وربطه بسياق السيطرة الاستعمارية، إلا أن تحليله يظل مركزًا على توصيف الانتهاكات وأبعادها السياسية، دون تطوير إطار مفاهيمي يسمح بقراءة تفاصيل الحياة اليومية داخل السجن مثل الإضاءة المستمرة، وتنظيم الوقت، والعزل، والرقابة ، بوصفها تقنيات دقيقة لإعادة تشكيل الإدراك وإنتاج أنماط سيطرة تتجاوز العنف المباشر.

إلى جانب الأدبيات الأكاديمية، شكّلت التقارير الصادرة عن مؤسسات حقوقية فلسطينية ودولية حقلًا معرفيًا لفهم البنية العملية للنظام الاعتقالي الإسرائيلي. ويُعد تقرير بتسيلم المعنون «منعًا باتًا: تعذيب المعتقلين الفلسطينيين

والتنكيل بهم من قبل سلطات الأمن الإسرائيلية» (2007) من أكثر التقارير تفصيلًا في تحليل ممارسات التحقيق، إذ استند إلى عيّنة نهائية مكوّنة من (73) إفادة جُمعت عبر مقابلات شبه مهيكلة مع معتقلين خضعوا لتحقيق جهاز الأمن العام، وركّز على الطابع المنهجي والمتكرر لأساليب المعاملة (B'Tselem, 2007)وتكشف نتائج التقرير أن أساليب مثل الشبح لفترات طويلة، والحرمان المنهجي من النوم، والتكبيل المؤلم، والتعرض لدرجات حرارة متطرفة، لا تُستخدم بوصفها وسائل ضغط مؤقتة، بل تُوظف ضمن آلية تحقيق تستهدف إنهاك الإدراك الزمني، وتشتيت القدرة على التركيز، وإحداث تفكك تدريجي في الإحساس بالسيطرة على الجسد. كما يخلص التقرير إلى أن هذه الممارسات لم تكن استثناءات فردية، بل نمطًا متكررًا داخل غرف التحقيق، الأمر الذي يشير إلى طابعها المؤسسي لا العرضي. غير أن التقرير، رغم دقته في إثبات المخالفة القانونية، يركّز على تصنيف الانتهاك وفق معايير القانون الدولي، دون تطوير قراءة تحليلية لأثر هذه الممارسات في إعادة تشكيل إدراك المعتقل لذاته ولزمنه داخل فضاء التحقيق.

أما تقرير "واقع الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية خلال عام 2025" الصادر عن المؤسسة الدولية للتضامن مع الأسرى الفلسطينيين (تضامن)، فيقدّم بيانات إحصائية وتحليلية مفصّلة حول أعداد الأسرى، وأنماط الاحتجاز، ونسب الاعتقال الإداري، بما يتيح قراءة الاتجاهات العامة لسياسات الاحتجاز خلال العام محلّ الرصد (المؤسسة الدولية للتضامن مع الأسرى الفلسطينيين [تضامن]، 2025). فمن خلال عرض الأرقام المتعلقة بالاعتقال الإداري، وارتفاع أعداد الأسرى الأطفال والنساء، وتوسيع نطاق العزل، يبيّن التقرير أن إدارة السجون لم تعد تقتصر على الاحتجاز، بل أصبحت منظومة تنظيم يومي مشددة. وتكشف نتائج التقرير عن تشديد القيود على "الفورة"، وتقليص إمكانيات الحركة داخل الأقسام، والتحكم في المواد المتاحة في الكانتين، وتشديد الرقابة الدائمة عبر الكاميرات والتفتيش المتكرر. كما يربط التقرير هذه التحولات بسياق سياسي أوسع، معتبرًا أن التشدد في السياسات العقابية يعكس توجّهًا نحو إدارة أكثر صرامة للحياة اليومية للأسرى. إلا أن تحليل التقرير يظل محصورًا في إبراز الطابع القمعي والإداري لهذه السياسات، دون الانتقال إلى قراءة أثرها الإدراكي الحسي في تشكيل تجربة الاعتقال بوصفها حالة انكشاف دائم وتنظيم قسري للزمن.

وتُظهر تقارير مؤسسة الضمير، ولا سيما التقرير المعنون *"نورٌ في آخر النفق: واقع العزل الانفرادي وآثاره على الأسرى في سجون الاحتلال"*، نتائج نوعية مركّزة على الأثر التراكمي للعزل المطوّل (مؤسسة الضمير، 2023). تكشف الإفادات الموثقة أن العزل لا يقتصر على حرمان المعتقل من التواصل الاجتماعي، بل يؤدي إلى اضطراب عميق في الإحساس بالزمن، وفقدان التمييز بين الليل والنهار نتيجة غياب الضوء الطبيعي، وتراجع القدرة على التركيز، وتفاقم أعراض القلق والاكتئاب. وتخلص هذه التقارير إلى أن العزل المطوّل يُحدث آثارًا نفسية ومعرفية قد تمتد حتى بعد انتهاء فترة الاحتجاز. ومع ذلك، فإن المقاربة المعتمدة تظل قانونية–حقوقية، تسعى إلى إثبات أن العزل المطوّل يشكل معاملة قاسية أو لا إنسانية وفق المعايير الدولية، دون تفكيك العزل بوصفه تقنية تنظيم إدراكي تهدف إلى إعادة تشكيل علاقة المعتقل بالزمن والحيّز الحسي.

وفي السياق ذاته، يبيّن تقرير *"وسائل ظلامية"* الصادر عن بتسيلم أن البيئة المادية لغرف التحقيق بما تتضمنه من غياب النوافذ، والإضاءة الاصطناعية المستمرة، وضيق المساحة، والتحكم بدرجة الحرارة، والتكبيل لساعات طويلة ، تشكل جزءًا من منظومة الضغط الممنهج (بتسيلم، 2010). وتكشف النتائج أن هذه العناصر ليست تفصيلات عرضية، بل مكونات أساسية في بنية التحقيق، حيث تُستخدم البيئة ذاتها كوسيلة لإضعاف القدرة الإدراكية للمعتقل، وتعزيز شعوره بالانكشاف والعجز. غير أن التقرير، كما في غيره من التقارير الحقوقية، يتوقف عند حدود توصيف المخالفة القانونية، دون بناء إطار نظري يقرأ هذه البيئة بوصفها نظامًا شاملًا لإدارة الحواس والانكشاف المستمر.

رغم غنى هذه التقارير بالبيانات والشهادات والتحليل القانوني، فإنها تظل محكومة بإطار إثبات الانتهاك، ولا تنتقل إلى تفكيك الحياة اليومية داخل السجن بوصفها بنية إدراكية حسية تُمارس عبرها هيمنة شفافة تعمل من خلال تنظيم الزمن، وإدارة الحواس، وإنتاج حالة انكشاف دائم. ومن هنا تنشأ الحاجة إلى مقاربة نظرية تحليلية تتجاوز التوصيف الحقوقي نحو بناء إطار مفاهيمي يقرأ هذه التفاصيل اليومية بوصفها تقنيات سلطة.

5 أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذا البحث، أولًا، من كونه يقدّم قراءة مختلفة للتجربة الاعتقالية الفلسطينية، لا بوصفها سلسلة انتهاكات معزولة أو ظروف احتجاز قاسية فحسب، بل بوصفها منظومة هيمنة هجينة ممنهجة تُمارَس عبر تفاصيل الحياة اليومية داخل السجون. فبالنسبة للفلسطيني، يتيح هذا التحليل فهمًا أعمق لما يعيشه الأسرى بوصفه سياسة مدروسة تستهدف الوعي والإدراك والكينونة، لا مجرد معاناة فردية أو قدرٍ قاسٍ. إن إدراك أن الإضاءة المستمرة، والعدّ المتكرر، والضجيج، وتنظيم الزمن ليست "تفاصيل إدارية"، بل أدوات سيطرة، يعيد الاعتبار للتجربة الأسيرة كخبرة سياسية ومعرفية مركزية في السياق الاستعماري.

كما تكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة في قدرتها على نزع التطبيع عن أوضاع السجون. فكثير من الممارسات القمعية تُقدَّم، حتى في الخطاب الحقوقي، بوصفها "روتينًا أمنيًا" أو "إجراءات تنظيمية"، ما يؤدي إلى تمييع أثرها العميق على النفس والوعي. يسهم هذا البحث في كشف الوظيفة الحقيقية لهذه الأوضاع، ويمنح الفلسطيني لغة تحليلية قادرة على تسمية ما يجري، لا فقط التعايش معه أو الشكوى منه.

أما على المستوى العالمي، فتتجلّى أهمية البحث في كونه يربط التجربة الاعتقالية الفلسطينية بنقاشات معاصرة حول الهيمنة الشفافة، والمراقبة، وتنظيم الإدراك في العصر الرقمي. فالسجن الإسرائيلي يظهر هنا أنموذجاً متقدماً لتقنيات سيطرة تُستخدم اليوم في فضاءات أوسع: من المدن الذكية، إلى أنظمة المراقبة، إلى الرأسمالية الرقابية. وبذلك، لا تعود التجربة الفلسطينية حالة استثنائية معزولة، بل تصبح موقعًا كاشفًا عن منطق عالمي لإدارة البشر عبر الانكشاف والضبط الحسي والسلوكي.

ويُسهم هذا الربط في نقل القضية الفلسطينية من خانة "الاستثناء الأخلاقي" إلى فضاء النقد النظري العالمي، إذ يُقرأ الأسرى لا فقط كضحايا، بل كذوات كاشفة لطبيعة السلطة المعاصرة. إن ما يُمارَس على الجسد الأسير الفلسطيني اليوم، يُنذر بما يمكن أن يُمارَس على الأجساد الأخرى غدًا بوسائل أقل وضوحًا وأكثر نعومة.

وعليه، تكمن أهمية هذا البحث في كونه يخاطب الفلسطيني بلغته وتجربته، ويخاطب العالم بلغته النظرية، كاشفًا أن السجن ليس مكانًا مغلقًا خلف الجدران، بل مختبرًا مفتوحًا لفهم أشكال السيطرة الحديثة، وموقعًا مركزيًا في معركة الوعي، والكرامة، والحرية الإنسانية.

6 الإطار النظري

ينطلق هذا البحث من مقاربة نقدية للسلطة بوصفها بنية تُمارَس عبر الانكشاف والإدارة الإدراكية، لا عبر العنف الجسدي المباشر فقط. وفي هذا السياق، يُستثمر مفهوم "الهيمنة الشفافة" بوصفه إطارًا نظريًا قادرًا على تفسير أنماط السيطرة المعاصرة التي تقوم على الإضاءة الكاملة، والمراقبة المستمرة، وإلغاء المسافة بين الداخل والخارج. يُطوّر الفيلسوف الكوري بيونغ-تشول هان هذا المفهوم في نقده لمجتمعات الشفافية، معتبرًا أن الشفافية لا تمثّل انفتاحًا تحرريًا، بل آلية هيمنة ناعمة تُخضع الأفراد عبر تحويلهم إلى ذوات مكشوفة وقابلة للقراءة الدائمة (Han, 2015).

تُمثّل الهيمنة الشفافة في التجربة الاعتقالية الفلسطينية أحد أكثر أشكال السيطرة الاستعمارية دقّة وتوغّلًا في الذات الإنسانية، إذ لا تقوم على العنف الجسدي المباشر فحسب، بل على الإحساس الدائم بالانكشاف والمراقبة وانعدام الخصوصية. فالاعتقال الإسرائيلي، في بنيته التقنية والإدراكية، لا يهدف إلى إخضاع الجسد فقط، بل إلى إعادة تشكيل وعي الأسير بذاته ليصبح الأسير كائنًا زجاجيًا داخل منظومة رؤية كلية لا مهرب منها، فالهيمنة الشفافة هي نظام سلطة يعتمد على الانكشاف الكامل بدلاً من الإخفاء، وعلى الرغبة في الظهور بدلاً من الخضوع القسري، وعلى إدارة الوعي عبر الضوء والمعلومات بدلاً من العنف المباشر.

اذ يرى بيونغ-تشول هان أن الشفافية ليست انفتاحًا حرًا، بل أداة ناعمة للهيمنة فهي لا تفرض الطاعة عبر الخوف بل عبر الرغبة في القبول. في حالة السجن، يمكن القول إنّ الاحتلال يسعى إلى إنتاج "أسير شفاف" شخص منزوع السرّ، قابل للقراءة التامة، منضبط من الداخل. تتحول كاميرات المراقبة، والاستجوابات، وتقنيات المسح الجسدي إلى ما يسميه هان "العنف الإيجابي": عنف بلا صراخ بلا دم، لكنه يمحو العمق الإنساني لصالح الوضوح المفرط. العنف هنا لا يتخذ شكل التعذيب المباشر، بل شكل إلغاء العمق — نزع المعنى من التجربة الإنسانية. فالأسير لا يُضرب فقط، بل يُفرَّغ من الغموض والسرّ، أي من قدرته على أن يكون ذاتًا حرّة. وهكذا يصبح السجن مختبرًا لإنتاج الإنسان الزجاجي، الإنسان الذي لم يعد يملك ظله أو صمته. وكما يقول هان: "الشفافية تجعل الروح البشرية بلا مأوى، فالإضاءة الكاملة تحرقها" (Han, 2015). فوفق هذا التصور، لا تُمارَس السلطة الشفافة عبر القسر المباشر أو الخوف، بل عبر دفع الأفراد إلى الظهور المستمر، مما يؤدي إلى تفريغ الذات من عمقها الداخلي. فالهيمنة هنا لا تُنتج الطاعة عبر الألم، بل عبر محو الغموض والسرّ، وهما شرطان أساسيان لتشكّل الذات الحرّة. وحين يُلغى الحاجز بين الخاص والعام، يصبح الفرد مكشوفًا داخل فضاء ضوئي دائم، إذ يتحوّل الانكشاف من خيار إلى شرط وجودي.

يتقاطع هذا النمط من السيطرة مع تحليلات ميشيل فوكو حول السلطة الانضباطية، خصوصًا في نموذجه الشهير "البانوبتيكون"، حيث تُمارس الهيمنة من خلال الاحتمال الدائم للرؤية، ما يدفع الأفراد إلى ضبط سلوكهم ذاتيًا دون تدخل مباشر من السلطة (فوكو، 1990) غير أن مفهوم الهيمنة الشفافة يتجاوز النموذج الفوكوي الكلاسيكي، إذ لا يكتفي بإنتاج الانضباط، بل يسعى إلى تفكيك العمق الوجودي للذات عبر الإضاءة الكاملة وإلغاء مناطق الظلّ التي تتيح للإنسان الانسحاب والتأمل والسرّ.

كما تُسهم أطروحات بول فيريليو حول العلاقة بين السرعة والسلطة في توسيع هذا الإطار النظري، إذ يرى أن السيطرة الحديثة لا تُمارَس فقط عبر المكان، بل عبر التحكم في الزمن وإيقاع الحياة اليومية (Virilio, 1986). فالزمن المُدار، والمجزّأ، والمقطوع على إيقاع السلطة، يتحوّل إلى أداة ضبط لا تقل فاعلية عن الجدار أو السلاح. ويُفيد هذا الطرح في فهم الكيفية التي تتحوّل بها إدارة الزمن داخل الفضاءات المغلقة إلى وسيلة لإعادة تشكيل الإدراك والوعي.

ويُشكّل تحليل جاك أتالي للضجيج والصوت مدخلًا أساسيًا لفهم الهيمنة الشفافة بوصفها بنية تنظيم إدراكي شاملة، لا تقتصر على العين أو الخطاب، بل تمتد إلى إدارة الإيقاع الحسي للجسد. فأتالي لا يتعامل مع الصوت كوسيط ثقافي فقط، بل كأداة سياسية سابقة على القانون، إذ يرى أن السلطة تبدأ بتنظيم ما يُسمَع قبل تنظيم ما يُقال (Attali, 1985). وبهذا المعنى، يصبح الضجيج، والصمت المفروض، وتقطيع الإيقاع اليومي، عناصر تأسيسية في إنتاج الطاعة والانضباط، لا مجرد آثار جانبية للسيطرة.

ويتعمّق هذا الإطار النظري أكثر من خلال أطروحات غاياتري سبيفاك حول إسكات التابع داخل أنظمة التمثيل المهيمنة، حيث لا يُمنع الصوت فحسب، بل يُعاد إنتاجه داخل خطاب السلطة بما يُفرغه من معناه (Spivak, 1988). في هذا السياق، تصبح الشفافية أداة مزدوجة: تُظهر الجسد وتُخفي الصوت، وتمنح الرؤية دون الاعتراف بالمعنى.

كما تلتقي هذه التحليلات مع مفهوم "القوة الأداتية" الذي تطرحه شوشانا زوبوف في إطار نقدها للرأسمالية الرقابية، حيث تُمارَس السلطة عبر التنبؤ بالسلوك وتوجيهه بدل قمعه (Zuboff, 2019). ويُفيد هذا المفهوم في فهم الهيمنة الشفافة بوصفها سلطة تُدير المستقبل عبر ضبط الحاضر، وتُحوِّل الإنسان إلى كيان قابل للقياس والتحليل والتعديل السلوكي.

وانطلاقًا من هذا التراكم النظري، تعتمد هذه الورقة تعريفًا إجرائيًا للهيمنة الشفافة بوصفها نمطًا من السيطرة يقوم على إخضاع الجسد والوعي لمنظومة تقنية إدراكية شاملة، تُلغى فيها الخصوصية، ويُدار الزمن والحواس والسلوك ضمن منطق رؤية دائم. ويُستخدم هذا الإطار لتحليل التجربة الاعتقالية الفلسطينية بوصفها فضاءً استعماريا متقدمًا لتطبيق هذا النوع من الهيمنة، وهو ما ستتناوله المحاور اللاحقة من خلال تفكيك أبعادها البصرية، والزمنية، والسمعية، والمعرفية.

7 المنهجية / الطريقة والإجراءات

تعتمد هذه الورقة منهجًا نوعيًا ذا طابع تفسيري نقدي، يقوم على بناء إطار مفاهيمي لمفهوم "الهيمنة الشفافة" ثم اختباره تحليليًا داخل سياق التجربة الاعتقالية الفلسطينية. لا تسعى الدراسة إلى قياس كمي لممارسات السجن، بل إلى تفكيك بنيتها بوصفها تقنيات سلطة تعمل عبر الإدراك والحواس والزمن، وتنتج أنماطًا من الانكشاف القسري والتنظيم الحسي طويل الأمد.

إذ تُقرأ السجون الإسرائيلية بوصفها فضاءً استعماريًا لإدارة الوجود اليومي، ويجري النظر إلى الممارسات المتكررة داخلها (الإضاءة المستمرة، طقوس العدّ، تنظيم الفورة، التحكم بالاستحمام والكانتين والملابس والزيارات، وأدوات التحقيق والاستجواب) باعتبارها "مؤشرات تشغيلية" (Operational Indicators) للهيمنة الشفافة، أي علامات ملموسة لعمل السلطة عبر تفاصيل تبدو تنظيمية لكنها تؤدي وظيفة إدراكية ونفسية تراكمية.

وعليه، تُقدَّم هذه الورقة بوصفها دراسة تفسيرية تسعى إلى إنتاج فهم نظري قابل للتطبيق على التجربة الاعتقالية الفلسطينية، من خلال ربط بنية السلطة بمادتها اليومية، وإظهار كيف تتحوّل تفاصيل الحياة داخل السجن إلى تقنيات استعمارية لإدارة الوعي والحواس والزمن.

7.1 مجتمع الدراسة

يتمثل مجتمع الدراسة في النصوص الحقوقية والشهادات المنشورة خلال الفترة (2000–2025) التي تتناول أوضاع الأسرى الفلسطينيين داخل مراكز التوقيف والتحقيق والسجون الإسرائيلية، بما في ذلك أقسام العزل الانفرادي. وتُعامل هذه النصوص بوصفها مادة تحليلية تُمكّن من تتبّع أنماط إدارة الحياة اليومية للأسرى وتحليلها، من حيث تنظيم الزمن، والتحكم بالحواس، وإنتاج حالة الانكشاف القسري المستمر.

7.2 عينة الدراسة

اعتمدت الدراسة على أربعة تقارير حقوقية رئيسة صادرة عن مؤسسات حقوقية فاعلة، تضمنت عددًا من الإفادات الموثقة لأسرى فلسطينيين خضعوا للتحقيق أو العزل أو الاحتجاز طويل الأمد. وقد جرى التعامل مع هذه الإفادات بوصفها وحدات تحليل نصي قابلة للترميز، ضمن الأبعاد الحسية الثلاثة التي يقوم عليها النموذج التحليلي (البصري، الزمني، السمعي). وجرى اختيار هذه المواد وفق معايير منهجية محددة تمثّلت في:

- احتوائها على وصف مباشر ومفصل لممارسات يومية داخل مراكز التوقيف والتحقيق والسجون أو أقسام العزل.

- قابليتها لاستخراج مؤشرات تشغيلية واضحة تسمح بترميز الممارسات ضمن الأبعاد التحليلية الثلاثة.

- تمثيلها لتحولات السياسات الاعتقالية خلال الفترة المحددة، بما يعكس البعد البنيوي للمنظومة الاعتقالية.

ويعود الاقتصار على هذه التقارير إلى غناها التفصيلي وتكرار المؤشرات الحسية فيها بصورة تسمح ببناء قراءة تركيبية عميقة. واستُبعدت النصوص ذات الطابع الخطابي أو السياسي العام التي لا تتضمن توصيفًا إجرائيًا للممارسة اليومية، وذلك حفاظًا على الطابع التحليلي للنصوص المعتمدة، وترد قائمة المواد المعتمدة في الدراسة، مع بياناتها الأساسية في الجدول رقم (1)

الجدول (1): قائمة المواد المعتمدة في الدراسة

رقم	الجهة المصدرة	السنة	عنوان التقرير	طبيعة المادة	البعد التحليلي
1	مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان	2023	نور في آخر النفق: واقع العزل الانفرادي وآثاره على الأسرى في سجون الاحتلال	تقرير حقوقي تحليلي يتضمن إفادات موثقة	بصري / زمني/ سمعي
2	المؤسسة الدولية للتضامن مع الأسرى الفلسطينيين (تضامن)	2025	واقع الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية خلال عام 2025	تقرير حقوقي تحليلي وإحصائي يتضمن شهادات موثقة	بنيوي / زمني
3	B'Tselem	2007	Utterly Forbidden: Torture and Ill-Treatment of Palestinian Detainees by Israeli Security Forces	تقرير توثيقي يعتمد على إفادات مباشرة	زمني / تحقيق
4	بتسيلم	2010	وسائل ظلامية: التعامل مع المعتقلين الفلسطينيين في منشأة التحقيق التابعة لجهاز الأمن العام	تقرير تحليلي للبيئة المادية للتحقيق	بصري / سمعي

7.3 أداة الدراسة

تعتمد الدراسة أداة تحليل مضمون نوعي بُنيت على أساس فئات تحليلية مشتقة من الإطار النظري ومشكلة الدراسة، بهدف فحص النصوص الحقوقية والشهادات المنشورة المتعلقة بالتجربة الاعتقالية الفلسطينية. وتمثلت فئات التحليل الرئيسة في ثلاثة أبعاد :البصري، الزمني، والسمعي، بوصفها محاور إجرائية للكشف عن أنماط اشتغال الهيمنة داخل الفضاء الاعتقالي.

وقد تضمّن البعد البصري مؤشرات مثل: الإضاءة المستمرة، والمراقبة، والانكشاف القسري، والتفتيش، وتنظيم المجال المرئي. وتضمّن البعد الزمني مؤشرات مثل: العدّ، والانتظار، وتعطيل النوم، وضبط مواعيد الحركة، وإدارة الإيقاع اليومي للحياة الاعتقالية. كما تضمّن البعد السمعي مؤشرات مثل: الصراخ، والضجيج، والأوامر، والتحكم بالصوت والصمت، والعزل أو التشويش السمعي.

واستُخدمت هذه الفئات في ترميز وحدات الوصف الواردة في النصوص المعتمدة، بما يتيح تفسيرها بوصفها ممارسات يومية تتجاوز بعدها الإجرائي المباشر، لتؤدي وظيفة هيمنة مرتبطة بتنظيم الإدراك والحواس والزمن.

7.4 حدود الدراسة

تتركّز الدراسة تحليليًا على النصوص الحقوقية والشهادات المنشورة خلال الفترة (2025–2000)، بوصفها مادة تحليلية تكشف التحولات والاستمراريات في إدارة المنظومة الاعتقالية الإسرائيلية، خاصة فيما يتعلق بأدوات الضبط الحسي والزمني. وقد شملت العينة المواد التي تتضمن إفادات موثقة ووصفًا مباشرًا للممارسات اليومية داخل مراكز التحقيق والسجون وأقسام العزل. ويسمح الامتداد الزمني للعينة برصد كلٍّ من التحول والاستمرارية في هذه الممارسات، بما يتيح قراءة بنيوية لأنماط إدارة الحياة الاعتقالية. وعليه، تنصرف استنتاجات الدراسة إلى تحليل الكيفية التي تُدار بها الخبرة الاعتقالية على المستوى الإدراكي الحسي كما تعكسها النصوص المعتمدة، دون الادعاء بإحاطة كلية بجميع أشكال التجربة الاعتقالية الفلسطينية.

7.5 خطوات التحليل

جرى تنفيذ التحليل وفق الخطوات الآتية:

1. جمع التقارير الحقوقية المنشورة ذات الصلة بالتجربة الاعتقالية الفلسطينية خلال الفترة المحددة.

2. مراجعة الشهادات المنشورة للأسرى المحرّرين كما وردت في المصادر العلنية.
3. تصنيف الممارسات الاعتقالية المتكررة ضمن محاور تحليلية (بصرية، زمنية، سمعية).
4. تحليل هذه الممارسات في ضوء الإطار النظري المستند إلى بيونغ-تشول هان، وميشيل فوكو، وبول فيريليو، وجاك أتالي.
5. استخراج الدلالات التفسيرية التي تكشف عن اشتغال الهيمنة عبر تفاصيل الحياة اليومية داخل الفضاء الاعتقالي.

وعليه، فإن الدراسة لا تدّعي التعميم الكمي، بل تسعى إلى بناء تفسير نظري نقدي لبنية الهيمنة داخل التجربة الاعتقالية الفلسطينية، من خلال قراءة تحليلية منظمة للنصوص المتاحة. حيث تم اعتبار وحدة التحليل هي: (مقطع/فقرة) تتضمن وصفًا إجرائيًا لممارسة يومية محددة داخل السجن أو التحقيق، بما يسمح بترميزها ضمن أحد الأبعاد (البصري/الزمني/السمعي/إدارة الحياة اليومية).

8 التحليل (المحاور التطبيقية)

ينطلق هذا القسم من الإطار النظري الذي جرى تفصيله سابقًا، ويعمل على اختبار مفهوم الهيمنة الشفافة من خلال تحليل أوضاع السجون الإسرائيلية بوصفها ممارسات ملموسة تُعاد صياغتها دوريًا تبعًا للسياق السياسي والأمني. ولا يتعامل التحليل مع هذه الأوضاع بوصفها ثابتة أو متجانسة، بل كمنظومة مرنة تُعاد برمجتها باستمرار، حيث يُعاد تعريف "النظام" والانضباط وفق متطلبات السلطة، ويُترجَم ذلك إلى تغييرات مباشرة في تفاصيل الحياة اليومية للأسرى.

يُقسَّم التحليل إلى محاور تطبيقية تعكس مستويات اشتغال الهيمنة، مع التركيز على كيفية توظيف السياسات الإسرائيلية المتغيّرة في إعادة ضبط السيطرة الإدراكية والحسية داخل الفضاء الاعتقالي. ويُطبَّق هذا التحليل على عينة الدراسة المشار إليها في القسم (7.2)، عبر تتبّع التكرارات الدلالية للممارسات اليومية بوصفها مؤشرات تشغيلية للهيمنة.

8.1 الهيمنة البصرية

تُعدّ الهيمنة البصرية أحد المداخل المركزية لممارسة الهيمنة الشفافة داخل السجون الإسرائيلية، حيث لا تُوظَّف المراقبة بوصفها إجراءً أمنيًا محايدًا، بل كأداة لإنتاج حالة انكشاف دائم تُعيد تشكيل علاقة الأسير بذاته وبالسلطة. فانتشار الكاميرات داخل الزنازين والممرات، واعتماد الإضاءة المستمرة، وتنظيم طقوس العدّ المتكرر، جميعها ممارسات تُحوّل الجسد الأسير إلى موضوع دائم للرؤية، وتُلغي إمكانية الانسحاب أو امتلاك مساحة خاصة داخل الفضاء الاعتقالي.

يُسهم هذا النمط من السيطرة في إنتاج ما وصفه فوكو بحالة المراقبة الدائمة التي تدفع الفرد إلى ضبط ذاته ذاتيًا نتيجة احتمال الرؤية المستمر (فوكو، 1990) غير أن التجربة الاعتقالية الفلسطينية لا تكتفي بإنتاج الانضباط السلوكي، بل تتجاوز ذلك إلى تفكيك الإحساس بالذات، إذ يصبح الانكشاف شرطًا وجوديًا لا ظرفًا مؤقتًا. فالأسير لا يُراقَب في أوقات محددة، بل يعيش داخل مجال بصري لا ينقطع، ما يجعل الرؤية أداة لإعادة تشكيل الوعي اليومي.

تلعب الإضاءة المستمرة دورًا محوريًا في هذا الضبط البصري، إذ يذكر تقرير "وسائل ظلامية" (بتسيلم، 2010) أن الإضاءة تبقى عاملة 24 ساعة داخل بعض الزنازين، بما يُفقد المعتقل القدرة على التمييز بين الليل والنهار. كما يشير تقرير "نور في آخر النفق" (مؤسسة الضمير، 2023) إلى استخدام تعصيب العينين وتغطية الأذنين منذ لحظة الاعتقال الأولى، بما يفرض حالة من العزل الحسي الكامل. وتؤكد شهادات منشورة في تقرير "واقع الأسرى الفلسطينيين 2025" (تضامن، 2025) أن غياب النوافذ وضيق المساحة وارتفاع الجدران تشكل بيئة بصرية مغلقة تُعيد تشكيل إدراك

المكان. هذه الأساليب لا تُستخدم فقط لكشف المكان، بل لإلغاء الزمن الليلي بوصفه مساحة انسحاب وراحة نفسية. إن حرمان الأسير من العتمة لا يؤدي فقط إلى اضطراب النوم، بل يُسهم في تفكيك العلاقة الطبيعية بين الجسد والزمن، وتحويل اليوم إلى امتداد واحد بلا فواصل واضحة. وبهذا المعنى، تصبح الإضاءة تقنية سيطرة زمنية–بصرية تُنتج إنهاكًا إدراكيًا متراكمًا، وهو ما ينسجم مع تحليلات فيريليو حول التحكم في الزمن بوصفه بعدًا حاسمًا من أبعاد السلطة الحديثة.

ولا تعمل الهيمنة البصرية بمعزل عن بقية الحواس، بل ضمن منظومة ضبط حسّي متكاملة. فمن منظور جاك أتالي، لا تبدأ السلطة بتنظيم القوانين، بل بتنظيم الحواس والإيقاع الذي يُخضع الجسد لمنطق التكرار والاستجابة (Attali, 1985) وعليه، تُنسَّق الرؤية المستمرة مع الإشارات السمعية، وطقوس العدّ، وحركة الأبواب، لتشكّل إيقاعًا قسريًا يجعل الجسد في حالة استعداد دائم. هنا لا تكون العين أداة كشف فقط، بل جزءًا من "أوركسترا سيطرة" تُدار فيها الحواس ضمن نسق واحد.

تتجلّى أهمية هذا التحليل عند النظر إلى التغييرات الدورية في سياسات إدارة السجون الإسرائيلية، حيث يُعاد تشديد أو تخفيف أدوات المراقبة تبعًا للسياق السياسي والأمني، مثل فترات ما بعد الإضرابات الجماعية أو التصعيد الميداني. فهذه التعديلات لا يمكن فهمها بوصفها إجراءات إدارية محايدة، بل كعمليات إعادة ضبط للهيمنة الشفافة، تهدف إلى إعادة ترسيخ الانكشاف، وكسر أي محاولة لإعادة إنتاج الخصوصية أو "الظلّ" داخل الفضاء الاعتقالي.

وبذلك، تكشف الهيمنة البصرية في السجون الإسرائيلية عن كونها أداة مركزية لإدارة الإدراك والوعي، لا مجرد وسيلة أمنية، حيث يتحول الجسد الأسير إلى موقع دائم لاشتغال السلطة في أكثر صورها نعومة وتوغّلًا.

8.2 الهيمنة الزمنية

تُمارَس الهيمنة الشفافة داخل السجون الإسرائيلية عبر إعادة تشكيل الزمن بوصفه أداة مركزية للسيطرة، حيث لا يُعاش الوقت كتدفّق طبيعي، بل يُجزّأ ويُقطَّع ويُعاد ضبطه ضمن إيقاع قسري تفرضه إدارة السجن. فالزمن الاعتقالي يُنظَّم من خلال طقوس يومية ثابتة ومتكرّرة، مثل مواعيد العدّ، وفتح الأبواب وإغلاقها، والاستدعاءات المفاجئة، وفترات الانتظار الطويلة غير المحدّدة، ما يحوّل اليوم إلى سلسلة من الانقطاعات التي تمنع تشكّل إيقاع زمني ذاتي لدى الأسير.

في هذا السياق، لا يعمل الزمن كإطار محايد لتنظيم الحياة اليومية، بل كأداة ضبط إدراكي تُنتج حالة دائمة من عدم اليقين. فالأسير لا يعرف متى سيُستدعى، ولا متى سينتهي الانتظار، ولا متى يُسمح له بالنوم أو الحركة، ما يُفقده القدرة على توقّع الزمن أو امتلاكه. ويتقاطع هذا النمط من السيطرة مع تحليلات بول فيريليو، الذي يرى أن السلطة الحديثة تُمارَس عبر التحكم في الإيقاع الزمني وتفكيك استمراريته، لا عبر السيطرة المكانية وحدها (Virilio, 1986)

كما تُظهر تقارير حقوقية، فإن ممارسات التحقيق، بما فيها الحرمان من النوم وتقطيع الزمن، تُدار ضمن إطار مؤسسي يسمح بهذا النوع من العنف غير المباشر (B'Tselem, 2015)

وتُعدّ طقوس العدّ المتكرّرة مثالًا واضحًا على هذا الضبط الزمني، إذ لا تقتصر وظيفتها على التأكّد من الوجود الجسدي للأسرى، بل تُعيد فرض الحضور القسري أمام السلطة، وتقطع الزمن الذاتي للأسير بصورة متكرّرة. فكل عدّ يُعيد الجسد إلى نقطة الصفر داخل النظام، ويكسر أي محاولة لبناء إيقاع داخلي مستقل. ومع تغيّر السياسات الإسرائيلية، يُعاد تنظيم هذه الطقوس من حيث عددها وتوقيتها وحدّتها، خصوصًا في فترات التوتر السياسي أو بعد الإضرابات الجماعية، ما يجعل الزمن ذاته مجالًا لإعادة ضبط السيطرة.

وتبلغ الهيمنة الزمنية ذروتها في طرائق التحقيق والاستجواب، التي تمثّل الشكل الأكثر تكثيفًا لاستخدام الزمن كسلاح. فالتحقيق لا يُدار ضمن جدول زمني ثابت أو متوقّع، بل عبر استدعاءات متقطّعة، قد تمتد لساعات طويلة أو تتكرّر

على فترات غير منتظمة، غالبًا مترافقة مع الحرمان من النوم، وتغيير أوقات الاستجواب عمدًا، بما يؤدي إلى تفكيك الإحساس بالليل والنهار. هنا لا يُستخدم الزمن فقط لإرهاق الجسد، بل لإرباك الإدراك وكسر التماسك الذهني.

من منظور فوكو، يعمل هذا النمط من السلطة عبر تنظيم الزمن بوصفه تقنية انضباط تُخضع الجسد عبر التكرار والانتظار والإرهاق، دون الحاجة الدائمة إلى العنف المباشر (فوكو، 1990) غير أن التحقيق في السياق الاعتقالي الفلسطيني يتجاوز الانضباط السلوكي إلى إعادة برمجة التجربة الإدراكية ذاتها، إذ يصبح الزمن غير موثوق، ويتحوّل الاستجواب إلى فضاء يُعاد فيه تشكيل العلاقة مع الواقع والذاكرة والاستمرارية.

ويُسهم تحليل جاك أتالي لتنظيم الإيقاع الحسي في فهم هذا التداخل بين الزمن اليومي والتحقيق بوصفه بنية واحدة للسيطرة. فالتكرار، والانقطاع، والعودة القسرية إلى الأسئلة نفسها، جميعها عناصر تُخضع الجسد لمنطق إيقاعي قسري يجعل الاستجابة التلقائية هي الشكل الغالب للسلوك (Attali, 1985). وبهذا المعنى، لا يكون التحقيق ممارسة منفصلة عن الحياة اليومية في السجن، بل امتدادًا مكثّفًا لمنطق الإيقاع الزمني المفروض داخل الفضاء الاعتقالي ككل.

كما تُسهم الإضاءة المستمرة والحرمان من النوم في تعميق هذا الضبط الزمني، حيث تُلغى الحدود بين فترات الراحة والاستجواب، ويُدفع الجسد إلى حالة إنهاك مزمن تُضعف القدرة على المقاومة النفسية والإدراكية. وتُظهر التغييرات الدورية في سياسات إدارة السجون،من حيث تشديد أو تخفيف هذه الممارسات، كيف تُعاد صياغة الهيمنة الزمنية بصورة مرنة تبعًا للسياق السياسي والأمني.

تكشف الشهادات المنشورة في تقرير "منعًا باتًا" (B'Tselem, 2007) عن ممارسات الحرمان من النوم واستمرار التحقيق لساعات طويلة ومتواصلة، بما يُفضي إلى تفكيك الإيقاع الزمني البيولوجي للمعتقل. كما يورد تقرير "وسائل ظلامية" (بتسيلم، 2010) أن بعض المعتقلين خضعوا للتحقيق المتواصل لأيام مع فترات استراحة قصيرة، دون قدرة على تحديد الزمن. إن استمرار الإضاءة أو إبقاء المعتقل مقيّدًا لفترات ممتدة يعمّق فقدان الإحساس بالوقت. بذلك لا يصبح الزمن إطارًا محايدًا، بل مادة تُعاد هندستها داخل فضاء الاعتقال. وبذلك، لا يمكن فهم إدارة الوقت وطرائق التحقيق داخل السجون الإسرائيلية بوصفها إجراءات تنظيمية أو أمنية منفصلة، بل كجزء من منظومة هيمنة شفافة تُدار عبر الزمن. فالأسير لا يُستنزف جسديًا فحسب، بل يُستنزف زمنيًا، حيث يُعاد تشكيل علاقته بالانتظار، والنوم، والاستمرارية، بما يجعل السيطرة أقل ظهورًا وأكثر تغلغلًا.

8.3 الهيمنة السمعية

لا تقتصر الهيمنة الشفافة داخل السجون الإسرائيلية على تنظيم الرؤية والزمن، بل تمتد إلى تنظيم المجال السمعي بوصفه بعدًا مركزيًا في إخضاع الجسد والوعي. فالصوت والصمت لا يعملان هنا كخلفية محايدة للحياة الاعتقالية، بل كأدوات ضبط تُستخدم لإعادة تشكيل الإدراك، وكسر الاستقرار النفسي، وإنتاج حالة استعداد دائم للاستجابة. وبهذا، يتحوّل الفضاء الاعتقالي إلى بيئة سمعية مُدارة، تُنسَّق فيها الأصوات والانقطاعات والإشارات وفق منطق السلطة.

يقدّم جاك أتالي إطارًا تفسيريًا أساسيًا لفهم هذا النمط من السيطرة، إذ يرى أن السلطة تبدأ بتنظيم الصوت والضجيج قبل تنظيم الخطاب أو القانون، وأن التحكم في الإيقاع السمعي يُعدّ شكلًا أوليًا من أشكال الحكم (Attali, 1985). من هذا المنظور، لا يُستخدم الصوت داخل السجن بوصفه أثرًا جانبيًا للاحتجاز، بل كأداة سياسية تُنظِّم الجسد عبر التكرار، والتنبيه، والإرباك، بينما يُوظَّف الصمت القسري بوصفه وجهًا آخر للهيمنة، يُفرغ الذات من القدرة على التعبير والاستقرار.

في الحياة اليومية داخل السجن، تتجلّى هذه الهيمنة السمعية في أصوات الأبواب الحديدية، والنداءات المفاجئة، والإشارات الصوتية المرتبطة بالحركة والعدّ، إضافة إلى الضجيج غير المنتظم الذي يقطع فترات السكون. لا تعمل هذه

الأصوات بوصفها إشارات تنظيمية فحسب، بل تُنتج إيقاعًا قسريًا يُبقي الجسد في حالة تنبّه دائم، ويمنع تشكّل صمت داخلي مستقر. ووفق منطق أتالي، فإن هذا الإيقاع لا يهدف إلى إيصال معنى، بل إلى فرض استجابة، حيث يصبح الجسد جزءًا من منظومة سمعية تُدار من الخارج. **حيث** يتضح من تقارير "منعًا باتًا" و"وسائل ظلامية" (بتسيلم، 2007؛ 2010) أن التحقيق يتضمن الصراخ المتعمد، التهديد اللفظي، والإهانات المتكررة، بوصفها أدوات ضغط نفسي. كما تشير إفادات في تقرير "نور في آخر النفق" (مؤسسة الضمير، 2023) إلى العزل الحسي الذي يمنع المعتقل من سماع أي صوت مألوف، بما يخلق حالة من الانقطاع السمعي الكامل. وتورد شهادات منشورة في تقرير "واقع الأسرى 2025" (تضامن، 2025) أن استخدام الكلاب أو الضجيج داخل السجن يُسهم في تعزيز بيئة قهر سمعي دائم. هكذا يتشكل البعد السمعي بوصفه جزءًا من بنية الهيمنة اليومية.

يتكامل هذا التنظيم السمعي مع ما وصفه فوكو من آليات الانضباط التي تُخضع الفرد عبر تفاصيل الحياة اليومية، لا عبر العقوبة المباشرة فقط. (فوكو، 1990) غير أن الهيمنة السمعية في السياق الاعتقالي الفلسطيني تتجاوز الانضباط السلوكي إلى إعادة تشكيل العلاقة مع الصمت ذاته. فالصمت هنا لا يُتاح بوصفه مساحة تأمل أو انسحاب، بل يُفرض أحيانًا بوصفه أداة إقصاء وإسكات، ويُمنع أحيانًا أخرى عبر الضجيج المتعمّد، ما يجعل الأسير محاصرًا بين صوت لا يسيطر عليه وصمت لا يملكه.

تبلغ هذه الهيمنة السمعية ذروتها في فضاء التحقيق، حيث يُعاد تنظيم الصوت والصمت ضمن إيقاع مكثّف يخدم أهداف السيطرة الإدراكية. فالتحقيق لا يعتمد فقط على الكلام والأسئلة، بل على تقطيع الصمت، والتحكم في وتيرة الحوار، واستخدام الانقطاعات السمعية لإرباك التماسك الذهني. في هذا السياق، لا يكون الصمت حيادًا، بل تقنية ضغط، كما لا يكون الصوت قناة تواصل، بل أداة لإعادة ضبط الإيقاع النفسي للأسير.

ومن منظور تنظيم الإيقاع الحسي، يُفهم التحقيق بوصفه امتدادًا مكثّفًا للمنظومة السمعية اليومية داخل السجن، حيث تتعاضد الإشارات الصوتية مع الزمن والانتظار لإنتاج حالة إنهاك إدراكي. فالتكرار السمعي، والانقطاع المفاجئ، وتغيّر الوتيرة، جميعها عناصر تُعيد تشكيل الجسد بوصفه كيانًا استجابيًا، وهو ما ينسجم مع قراءة أتالي للصوت بوصفه أداة سلطة تُنتج الطاعة عبر الإيقاع لا عبر المعنى (Attali, 1985).

كما يتقاطع هذا التحليل مع مفهوم "الهيمنة الشفافة" عند بيونغ-تشول حَن، حيث لا تُمارَس السيطرة عبر العنف الصريح، بل عبر إدارة البيئة الإدراكية بصورة تُنهك الذات وتُفقدها قدرتها على بناء مسافة داخلية (Han, 2012). ففي الفضاء السمعي المُدار، يصبح الأسير مكشوفًا لا للعين فقط، بل للاختراق الصوتي المستمر، ما يُعمّق الإحساس بالانكشاف ويُضعف إمكانية الانسحاب الذاتي.

وتُظهر التغييرات الدورية في سياسات إدارة السجون، سواء من حيث تشديد الصمت المفروض أو تكثيف الضجيج والتنبيهات، كيف تُعاد صياغة الهيمنة السمعية تبعًا للسياق السياسي والأمني. هذه المرونة في إدارة الصوت والصمت تجعل السيطرة أقل ظهورًا وأكثر تغلغلًا، إذ يتعلّم الجسد أن يتكيّف مع عدم الاستقرار السمعي بوصفه الحالة الطبيعية.

وبذلك، يكشف تحليل الهيمنة السمعية أن الصوت والصمت داخل السجون الإسرائيلية ليسا عنصرين ثانويين، بل مكوّنين أساسيين في منظومة الهيمنة الشفافة. فالتحقيق، بوصفه لحظة تكثيف لهذه المنظومة، يُظهر كيف تُدار الحواس ضمن إيقاع قسري واحد، حيث يتحوّل السمع إلى موقع مركزي لاشتغال السلطة، ويتحوّل الجسد الأسير إلى سطح استجابة داخل نظام صوتي لا يتيح له التحكم في ما يسمع أو في متى يصمت.

8.4 إدارة الحياة اليومية للأسرى بصفها تقنية هيمنة

تظهر القراءة التركيبية للمحاور السابقة أن الهيمنة داخل السجون الإسرائيلية لا تُمارَس عبر إجراءات استثنائية أو لحظات عنف معزولة، بل عبر إدارة دقيقة ومستمرة لتفاصيل الحياة اليومية، ويتقاطع هذا النمط مع ما تذكره

شهادات الأسرى وتقارير المؤسسات الحقوقية، التي تشير إلى الطابع المنهجي لهذه الممارسات، وعدم كونها حالات عارضة أو استثناءات مؤقتة.

إذ يتحوّل العادي إلى أداة سيطرة، والمألوف إلى مصدر إنهاك متراكم. فالرؤية الدائمة عبر الكاميرات، والإضاءة التي لا تنطفئ، وطقوس العدّ المتكرّرة، لا تُفصل عن تنظيم الزمن القسري الذي يُفكّك اليوم إلى فترات انتظار طويلة وانقطاعات مفاجئة، ولا عن المجال السمعي المُدار الذي يتأرجح بين الضجيج والصمت، ليُنتج بيئة إدراكية مغلقة يعيش فيها الأسير في حالة حضور قسري دائم.

تتجسّد هذه المنظومة بوضوح في ممارسات الجنود اليومية، حيث لا يُمارَس الضبط عبر المنع المطلق، بل عبر الفورة المضبوطة. وتُظهر شهادات منشورة في تقرير "واقع الأسرى الفلسطينيين 2025" (تضامن، 2025) أن تقليص مدة الفورة أو إلغائها يُستخدم بوصفه إجراءً تأديبيًا غير مُعلن، حيث يرد في أكثر من إفادة أن مدة الخروج إلى الساحة خُفِّضت أو أُلغيت عقب أحداث أمنية ما يجعل الجسد معلّقًا بين وعد الحركة وسحبها. الأسير لا يعرف متى يخرج، ولا كم سيدوم الخروج، ولا إن كان سيتكرّر غدًا، فيتحوّل الزمن نفسه إلى أداة ضغط.

الأمر ذاته ينسحب على أوقات الاستحمام، **حيث** يثم تأجيل أدوار الاستحمام أو تقليص مدتها، خصوصًا في فترات الاكتظاظ، بما يجعل الحاجة الجسدية خاضعة لتقدير إداري متغيّر، حيث يُنظَّم الجسد بدقّة زمنية صارمة. فالدور قد يُؤجَّل، أو يُختزل، أو يُربط بسلوك "منضبط"، ما يجعل أبسط أشكال العناية بالجسد خاضعة للتقدير الأمني. لا يُحرم الأسير من الاستحمام دائمًا، بل يُترك في حالة ترقّب، غير متيقّن من متى وكيف، وهو ما يحوّل الحاجة الجسدية إلى مساحة توتّر مستمر.

أما الكانتين، فلا يعمل كفضاء خدماتي محايد، بل كأداة ضبط اقتصادي ونفسي. فالسماح بالشراء، وتوفّر السلع، وأسعارها، وتوقيت الوصول، جميعها متغيّرات قابلة للتعديل. قد تُمنع أصناف معيّنة، أو تُقيَّد الكميات، أو يُغلق الكانتين لفترات، لا بوصف ذلك عقابًا معلنًا، بل كجزء من "تنظيم النظام". وتذكر تقارير "تضامن" (2025) أن إغلاق الكانتين أو تقليص أصناف السلع حدث في سياقات توتر أمني، ما حوّل الشراء إلى امتياز قابل للسحب. هذا التحكم لا يؤثر فقط في التغذية أو الراحة، بل يُعمّق الإحساس بأن حتى الخيارات الصغيرة ليست بيد الأسير.

وتتفاقم هذه السيطرة في الظروف المناخية القاسية. ففي فترات البرد، يعيش الأسرى في زنازين باردة، مع نقص في الأغطية أو الملابس الدافئة، حيث يتحوّل البرد إلى ضغط يومي يُضاف إلى العزل والانتظار. وفي فترات الحرّ، خصوصًا في الزنازين الضيّقة سيئة التهوية، يصبح الحرّ خانقًا، ولا تُتاح وسائل تخفيف حقيقية، فيتحوّل الجسد إلى مساحة إنهاك مستمر. لا يُقدَّم الحرّ أو البرد كعقوبة رسمية، بل كواقع "طبيعي" يُترك دون معالجة، ما يجعله أكثر قسوة لأنه غير مُعلن. كما توثق شهادات في تقرير "نور في آخر النفق" (الضمير، 2023) و"منعًا باتًا" (B'Tselem, 2007) نقص الأغطية أو سوء التهوية في بعض الأقسام، خصوصًا خلال فترات الشتاء أو الصيف.

ويُضاف إلى ذلك انعدام الأسرة في كثير من الحالات، حيث يُجبر الأسرى على النوم على الأرض أو على فرش رقيقة لا توفّر حدًّا أدنى من الراحة. لا يكون السرير غائبًا بوصفه عقوبة مباشرة، بل نتيجة اكتظاظ أو "نظام"، لكن أثره اليومي عميق: نوم متقطّع، جسد متعب، ليل بلا استعادة. ومع الوقت، يتحوّل النوم ذاته إلى تجربة غير مضمونة، تُفكّك العلاقة بين الجسد والراحة والزمن.

أما زيارات الأهل فهي من أكثر الممارسات التي تكشف الطابع النفسي للهيمنة. فالزيارة ليست حدثًا مستقرًا، بل احتمالًا هشًّا: قد تُلغى، أو تُؤجَّل، أو تُقلَّص مدتها، وتُحاط بإجراءات تفتيش وانتظار طويلة. الأسير يدخل الزيارة وهو غير واثق من اكتمالها، ويخرج منها مثقلًا بإحساس الانقطاع. هنا لا تُستخدم الزيارة لتعزيز الصمود، بل تُدار كأداة ضغط تمتد إلى العائلة نفسها، إذ تصبح العلاقة الإنسانية مشروطة ومنظَّمة ومراقَبة.

في مجموعها، تكشف هذه التفاصيل أن الهيمنة داخل السجون الإسرائيلية لا تقوم على القهر الصريح، بل على إدارة دقيقة للمنح والحرمان، فالقليل يُمنح ويُسحب في أي لحظة، ويُعاد تعريف "النظام" باستمرار تبعًا للسياق السياسي والأمني. هذا التقلّب المستمر لا يُضعف السيطرة، بل يعمّقها، لأن الأسير يُجبر على التكيّف مع عدم الاستقرار بوصفه القاعدة. وهكذا، تتحوّل أبسط عناصر الحياة: الضوء، الوقت، الصوت، الحركة، النوم، الحرارة، الزيارة إلى أدوات مركزية في منظومة هيمنة شفافة تُرهق الجسد وتعيد تشكيل الوعي ببطء، ومن دون حاجة إلى عنف ظاهر.

فعلى الرغم من شمولية منظومة الهيمنة التي تُدار عبر تفاصيل الحياة اليومية داخل السجون الإسرائيلية، لا يظهر الأسير بوصفه ذاتًا مستسلمة بالكامل، بل بوصفه فاعلًا يعيد إنتاج مساحات مقاومة دقيقة داخل القيود نفسها. هذه المقاومة لا تتخذ شكل المواجهة المباشرة، بل تتشكّل في إعادة تملّك التفاصيل الصغيرة التي تحاول السلطة احتكارها، وتحويلها إلى أدوات ضبط.

تتجلّى هذه المقاومة أولًا في إعادة تنظيم الزمن الداخلي، حيث يسعى الأسرى إلى خلق إيقاع ذاتي داخل الزمن القسري المفروض. فمع أن العدّ، والاستدعاءات، والانتظار يقطّعون اليوم، يعمل الأسرى على تثبيت طقوس خاصة كأوقات محدّدة للقراءة، أو التمرين، أو الذكر، أو النقاش بوصفها نقاط ارتكاز زمنية تعيد للجسد إحساسًا بالاستمرارية. لا تُلغى السيطرة بذلك، لكنها تُخترق عبر خلق زمن موازٍ، لا يخضع بالكامل لإيقاع السجن.

في هذا السياق، لا تُفهم المقاومة بوصفها نفيًا للهيمنة، بل بوصفها تشويشًا دائمًا عليها. فالأسير لا يمتلك القدرة على كسر المنظومة، لكنه يمتلك القدرة على إرباكها، وتأخير أثرها، ومنعها من السيطرة الكاملة على المعنى. وبهذا، تتحوّل التفاصيل نفسها : الزمن، الصمت، الحركة، العلاقة، من أدوات ضبط مطلقة إلى ساحات صراع يومي صامت، تُدار فيها معركة الوعي والكرامة ببطء، وبإصرار.

9 عرض النتائج ومناقشتها

9.1 إجابة السؤال المركزي

السؤال :كيف تُوظَّف أوضاع السجون اليومية كمنظومة هيمنة شفافة عبر الانكشاف وتنظيم الحواس والزمن؟

أظهرت نتائج التحليل أن أوضاع السجون الإسرائيلية اليومية تُنتِج نمطًا من "الهيمنة الشفافة" لا يعتمد أساسًا على العنف الجسدي المباشر، بل على تحويل الوجود اليومي إلى مجال مكشوف ومُدار عبر ثلاثة أنظمة متداخلة:

1. انكشاف بصري دائم
2. تفكيك الزمن الذاتي عبر تقطيع الإيقاع اليومي
3. إدارة حسّية سمعية تتأرجح بين الضجيج والصمت القسري.

وتبيّن أن هذه الأنظمة تعمل بوصفها "تقنيات سلطة" تُراكم إنهاكًا إدراكيًا ونفسيًا وتُضعف قدرة الأسير على امتلاك الخصوصية أو بناء مسافة داخلية (B'Tselem, 2007; Han, 2015; Virilio, 1986).

9.2 إجابة الأسئلة الفرعية

9.2.1 سؤال 2.1 : كيف تعمل ممارسات السجن اليومية، مثل الإضاءة المستمرة، والمراقبة الدائمة، والعدّ المتكرر، على إنتاج حالة انكشاف قسري تُحوِّل الجسد الأسير إلى موضوع دائم للرؤية والضبط ؟

تبيّن أن الممارسات البصرية (الإضاءة المستمرة، الكاميرات، وطقوس العدّ) لا تؤدي وظيفة أمنية فقط، بل تُنتج حالة انكشاف قسري تُحوّل الجسد إلى موضوع دائم للرؤية والضبط، وتُضعف إمكان الانسحاب أو امتلاك "مناطق ظلّ". وتشير التقارير إلى أن استمرار الإضاءة داخل بعض الزنازين/غرف التحقيق وغياب النوافذ يُربك التمييز بين الليل

والنهار، بما يربط السيطرة البصرية بالسيطرة الزمنية في آن (بتسيلم، 2010؛ مؤسسة الضمير، 2023). وتتوافق هذه النتيجة مع منطق "البانوبتيكون" عند فوكو، حيث تؤدي احتمالية الرؤية الدائمة إلى ضبط ذاتي، لكنها في السياق الاعتقالي الفلسطيني تتجاوز الانضباط نحو تفكيك الخصوصية بوصفها شرطًا للكينونة (فوكو، 1990؛ Han, 2015).

في المقابل، ظهرت في الشهادات أشكال مقاومة دقيقة تتمثل في استعادة "الظل" (تغطية العين، إدارة وضع الجسد، الصمت المقصود) بوصفه محاولة لحماية الداخل من القراءة الكاملة (مؤسسة الضمير، 2023).

9.2.2 سؤال 2.2 :إلى أي مدى يُستخدم تنظيم الزمن والإيقاع اليومي داخل السجن من خلال التحكم بالنوم، والحركة، والانتظار كأداة للسيطرة الإدراكية والنفسية على الأسير؟

أظهرت النتائج أن الزمن داخل السجن لا يُدار كتنظيم إداري، بل يُستعمل كأداة ضبط إدراكي عبر: التقطيع والتكرار (العدّ، فتح/إغلاق الأبواب، الاستدعاءات)، اللايقين الزمني (انتظار طويل بلا أفق، تغيّر مفاجئ في المواعيد)، والحرمان من النوم وتبديل الإيقاع خصوصًا في سياقات التحقيق. وتوثّق تقارير بتسيلم أن الحرمان من النوم واستمرارية التحقيق/الإجراءات لساعات طويلة يشكلان جزءًا من منظومة ضغط ممنهج تُضعف التركيز وتُربك الاستمرارية الإدراكية (B'Tselem, 2007). كما تعكس تقارير أخرى أن البيئة المادية (ضوء، تقييد، أوضاع) تُنتج فقدانًا متزايدًا للإحساس بالوقت (بتسيلم، 2010).

تتسق هذه النتيجة مع تصور فيريليو للسلطة بوصفها تحكمًا في الإيقاع، حيث يصبح الزمن "مادة" تُهندس لإنتاج الطاعة والإنهاك(Virilio, 1986) ،في المقابل، برزت مقاومة زمنية عبر تثبيت طقوس داخلية (قراءة/ رياضة/ ذكر/ تعليم) لبناء إيقاع ذاتي يحدّ من تفكك الزمن الشخصي.

9.2.3 سؤال 2.3 : كيف يُسهم التحكم بالحواس، ولا سيما الصوت والصمت، في إعادة إنتاج الهيمنة داخل الفضاء الاعتقالي، وما أشكال المقاومة التي تتشكّل داخل هذه البنية الحسية القسرية؟

كشفت النتائج أن المجال السمعي يُدار بوصفه أداة ضبط عبر إيقاع قسري يتكوّن من أصوات الأبواب والنداءات والضجيج غير المنتظم، أو عبر صمت قسري (عزل/منع تواصل/قطع صوت مألوف). وداخل التحقيق تحديدًا، يظهر الصوت (الصراخ/التهديد/الإهانة) كضغط نفسي يشتغل بالتوازي مع الزمن(B'Tselem, 2007 ؛ بتسيلم، 2010) وتفسَّر هذه النتيجة نظريًا مع أطروحة أتالي التي ترى أن السلطة تبدأ بتنظيم ما يُسمع قبل ما يُقال، وأن الإيقاع يفرض استجابة قبل أن ينتج معنى.(Attali, 1985)

ظهرت المقاومة السمعية في "استعادة الصمت" كمساحة حماية للذات، أو في تنظيم تواصل داخلي محدود يخرق العزل ويعيد بناء معنى جماعي داخل القهر (مؤسسة الضمير، 2023).

وبناءً على ما تقدم تؤكد النتائج مجتمعة أن "الهيمنة الشفافة" في التجربة الاعتقالية الفلسطينية تعمل كمنظومة حسّية-زمنية-بصرية متشابكة :الضوء ينتج الانكشاف، والزمن يُفكك الاستمرارية، والصوت يفرض الإيقاع، وبذلك تُدار الكينونة عبر تفاصيل تبدو تنظيمية لكنها تشتغل كأدوات استعمارية لإعادة تشكيل الوعي والحدود الداخلية للذات

10 الاستنتاجات، قيود الدراسة، و البحوث المستقبلية

تُظهر نتائج هذه الدراسة أن التجربة الاعتقالية الفلسطينية داخل السجون الإسرائيلية لا يمكن قراءتها بوصفها منظومة عقابية قائمة على العنف الجسدي المباشر فحسب، بل بوصفها بنية هيمنة شفافة تُمارَس عبر إدارة دقيقة للحياة اليومية وتنظيم الإدراك الحسي والزمني. فقد بيّن التحليل أن الممارسات التي تبدو تنظيمية أو إجرائية، مثل

الإضاءة المستمرة، وطقوس العدّ، وتنظيم الحركة، والتحكم بالصوت والصمت، وإدارة الفورة والاستحمام والكانتين والزيارات ، تؤدي وظيفة مركزية في إعادة تشكيل وعي الأسير وعلاقته بذاته وبالزمن وبالحيّز.

تكمن الإضافة المعرفية الأساسية لهذه الدراسة في الانتقال من توصيف الانتهاك إلى تفكيك آلياته التشغيلية اليومية. إذ لم تُقرأ الممارسات بوصفها خروقات قانونية فقط، بل بوصفها تقنيات سلطة تعمل عبر الانكشاف القسري، وتقطيع الزمن، وتنظيم الإيقاع الحسي. وبذلك يتضح أن السيطرة داخل الفضاء الاعتقالي لا تقوم على العنف الصريح وحده، بل على إنتاج بيئة إدراكية مُدارة تُرهق الذات تدريجيًا وتُضعف قدرتها على بناء مسافة داخلية مستقلة. كما كشفت الدراسة أن الهيمنة داخل السجون الإسرائيلية تتسم بدرجة عالية من المرونة وقابلية إعادة الضبط تبعًا للسياق السياسي والأمني، حيث يُعاد تعريف "النظام" و"الإجراءات" بصورة مستمرة، بما يجعل عدم الاستقرار ذاته أداة من أدوات السيطرة. فالتغييرات الدورية في تنظيم الفورة، وتقليص الزيارات، والتحكم في الكانتين، أو تشديد الرقابة، لا تُفهم كإجراءات إدارية محايدة، بل كعمليات إعادة معايرة للهيمنة، تُبقي الجسد في حالة ترقّب دائم.

وفي مقابل هذه البنية المتكاملة للضبط، أظهرت النتائج أن الأسير لا يُختزل إلى ذات خاضعة بالكامل، بل يُنتج أشكالًا دقيقة من المقاومة داخل القيود نفسها. تجلّت هذه المقاومة في إعادة تنظيم الزمن الداخلي عبر طقوس ذاتية، وفي استعادة الصمت بوصفه مساحة حماية، وفي الحفاظ على "مناطق ظلّ" تحمي الكينونة من الانكشاف الكامل. وعليه، فإن المقاومة هنا لا تُلغِي الهيمنة، لكنها تُربكها وتحدّ من قدرتها على الامتلاك الكلّي للمعنى.

على المستوى النظري، تُسهم هذه الدراسة في توسيع استخدام مفهوم "الهيمنة الشفافة" ليشمل فضاءات استعمارية مغلقة، وتُظهر أن الشفافية لا ترتبط فقط بالمجتمعات الرقمية المفتوحة، بل يمكن أن تتجسّد بصورة أكثر كثافة داخل فضاءات السجن. كما تؤكد النتائج أن الضوء، والزمن، والصوت ليست عناصر ثانوية في التجربة الاعتقالية، بل أدوات مركزية في إدارة الوجود الإنساني. وبهذا المعنى، يمكن قراءة السجن الإسرائيلي بوصفه مختبرًا مُكثّفًا لتحولات السلطة المعاصرة، حيث تُدار السيطرة عبر تنظيم الحواس والإيقاع اليومي بقدر ما تُدار عبر الجدران والأسلاك. غير أن هذه القراءة لا تدّعي تعميمًا كونيًا، بل تقترح أن التجربة الاعتقالية الفلسطينية تقدّم حالة دالّة تساعد في فهم منطق أوسع لإدارة البشر عبر الانكشاف والضبط الإدراكي.

رغم هذه الإسهامات، تبقى الدراسة محكومة بعدد من القيود. فقد اعتمد التحليل على نصوص ثانوية منشورة دون إجراء مقابلات ميدانية مباشرة، ما يجعل النتائج ذات طبيعة تفسيرية تعتمد على تحليل التمثيلات النصية للممارسة. كما أن التركيز على الأبعاد البصرية والزمنية والسمعية قد ترك مجالات أخرى كالبعد الاقتصادي أو الصحي أو القانوني التفصيلي خارج نطاق الفحص المعمّق.

وعليه، توصي الدراسة بإجراء أبحاث ميدانية نوعية تعتمد مقابلات معمّقة مع أسرى محرّرين، لاختبار النموذج التفسيري المقترح على مستوى الخبرة الحسية المباشرة. كما يُقترح توسيع المقارنة مع سياقات اعتقالية أخرى، لفحص مدى قابلية مفهوم الهيمنة الشفافة للتطبيق في فضاءات استعمارية أو سلطوية مختلفة. إضافة إلى ذلك، يمكن تطوير هذا المسار البحثي عبر دراسة العلاقة بين إدارة البيانات البيومترية داخل السجون ومنطق الرأسمالية الرقابية، بما يربط الفضاء الاعتقالي بالتحولات التقنية المعاصرة.

وتُظهر الدراسة أن التجربة الاعتقالية الفلسطينية تكشف عن بنية هيمنة تُدار عبر التفاصيل اليومية، حيث يتحول الضوء إلى أداة انكشاف، والزمن إلى مادة ضبط، والصوت إلى إيقاع قسري، وتتحول الحياة اليومية نفسها إلى موقع اشتغال السلطة. غير أن هذه البنية، رغم شموليتها، لا تُلغي إمكانية المقاومة، بل تجعلها أكثر دقة وعمقًا، بوصفها معركة مستمرة على المعنى، والوعي، وحدود الكينونة الإنسانية.

قائمة المراجع

المراجع العربية

العصا، عزيز محمود. (2022). أدب الأسرى الفلسطينيين: وثائق تبين شراسة السجان وتحفظ للوطن تاريخه. المقدسية، (14)، 171–195.

المؤسسة الدولية للتضامن مع الأسرى الفلسطينيين (تضامن) .(2025) .واقع الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية خلال عام 2025: تقرير حقوقي تحليلي موسّع. https://www.solidarity-ps.org/ar/category_details/7344

بتسيلم .(2010) .وسائل ظلامية: التعامل مع المعتقلين الفلسطينيين في منشأة التحقيق التابعة لجهاز الأمن العام في بيتح تكفا .مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة . https://www.btselem.org/arabic/publications/summaries/201010_kept_in_the_dark

قاسم، عبد الستار .(1986) .مقدمة في التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية .بيروت: دار الأمة للنشر.

مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان .(2023) .نور في آخر النفق: واقع العزل الانفرادي وآثاره على الأسرى في سجون الاحتلال. https://addameer.ps/ar/media/5210

فوكو، ميشيل.(1990). المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن (ترجمة: علي مقلد). بيروت : مركز الانماء القومي.

المراجع العربية المترجمة

Addameer Prisoner Support and Human Rights Association. (2023). Light at the end of the tunnel: The reality of solitary confinement and its effects on prisoners in Israeli occupation prisons. https://addameer.ps/ar/media/5210

Al-Asa, A. M. (2022). Palestinian prisoners' literature: Documents revealing the jailer's brutality and preserving the homeland's history. Al-Maqdisiyya, (14), 171–195.

B'Tselem. (2010). Dark methods: The treatment of Palestinian detainees at the Israel Security Agency interrogation facility in Petah Tikva. The Israeli Information Center for Human Rights in the OccupiedTerritories.https://www.btselem.org/arabic/publications/summaries/201010_kept_in_the_dark

Foucault, M. (1990). Discipline and punish: The birth of the prison (A. Muqallid, Trans.). Beirut: Markaz Al-Inma' Al-Qawmi.

International Foundation for Solidarity with Palestinian Prisoners (Tadamon). (2025). The reality of Palestinian prisoners in Israeli prisons during 2025: An expanded analytical human rights report. https://www.solidarity-ps.org/ar/category_details/7344

Qasim, A. S. (1986). An introduction to the detention experience in Zionist prisons. Beirut: Dar Al-Ummah Publishing.

المراجع الأجنبية

B'Tselem. (2007). Utterly forbidden: Torture and ill-treatment of Palestinian detainees by Israeli security forces. B'Tselem – The Israeli Information Center for Human Rights in the Occupied Territories. https://www.btselem.org/publications/summaries/200705_utterly_forbidden

Attali, J. (1985). Noise: The political economy of music (B. Massumi, Trans.; F. Jameson, Foreword; S. McClary, Afterword). University of Minnesota Press. (Original work published 1977) https://monoskop.org/images/6/67/Attali_Jacques_Noise_The_Political_Economy_of_Music.pdf

B'Tselem. (2015). Backed by the system: Abuse and torture at the Shikma interrogation facility.

Han, B.C. (2015). The transparency society (E. Butler, Trans.). Stanford University Press. (Original work published 2012) .https://www.are.na/block/6062444

Spivak, G. C. (1988). Can the subaltern speak? In C. Nelson & L. Grossberg (Eds.), Marxism and the interpretation of culture (pp. 271–313). University of Illinois Press.

Virilio, P. (1986). Speed and politics: An essay on dromology (M. Polizzotti, Trans.). Semiotext(e). (Original work published 1977)

Zuboff, S. (2019). The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power. PublicAffairs